مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 07 (03) ديسمبر 2023 ص ص 520-552

التهجير والهجرة الجماعية للجزائريين إلى دول المشرق العربي بين 1830- 1900 "بلاد الشام والحجاز أنموذجا"

Displacement and mass migration of Algerians to the countries of the Arab Mashreq between 1830-1900 «The Levant and the Hijaz as a Model»

عمر بلعربي *
جامعة " الحاج لخضر " باتنة 1 (الجزائر).
البريد الالكتروني المهني: belarbi.omar@univ-batna.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/05/25	2023/09/20	2023/12/01

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز ظاهرة التهجير والهجرة التي عرفتها الجزائر خلال الفترة الاستعمارية والتي عرفت عدة اتجاهات نحو الخارج ومن أهمها المشرق العربي "بلاد الشام والحجاز"، وكان من الطبيعي أن تتجه أنظار الجزائريين الذين كانوا يفكرون في الهجرة إلى بلاد المشرق نظرا لوحدة الدين واللغة والارتباط الثقافي والاجتماعي بين شعوب المنطقتين.

سنحاول التعريف بمفهوم مصطلح التهجير والهجرة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ثم إظهار أنهما ظاهرة اجتماعية كانت وليدة أسباب ودوافع اجتماعيةــ اقتصادية، ثقافية، واتصفت بالاستبداد والقهر الاستعماري، إضافة إلى أنهما تعبير عن رفض الشعب الجزائري لسياسة التسلط والعبودية محاولين الحفاظ على أحوالهم الشخصية ثم القيام بواجب الدعم المادي والمعنوي للمقاومة الوطنية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الفترة الاستعمارية؛ الهجرة؛ الاستبداد؛ المشرق العربي؛ المقاومة الوطنية.

Abstract: This study aims to highlight the phenomenon of displacement and emigration that Algeria experienced during the colonial period, which knew several trends towards the outside, the most important of which is the Arab East “the Levant and the Hijaz.” cultural and social between the peoples of the two regions.

* **المؤلف المرسل**

We will try to define the concept of the term displacement and emigration from a linguistic and idiomatic point of view, then show that they are a social phenomenon that was the result of socio-economic and cultural reasons and motives, and was characterized by tyranny and colonial oppression, in addition to that they are an expression of the Algerian people's rejection of the policy of domination and slavery trying to preserve their personal status and then carry out the duty of support Material and moral Algerian national resistance.

Keywords: *colonial period; emigration ; despotism; the Arab Levant; national resistance.*

مقدمة:

شهدت أوروبا في النصف الثاني من القرن الـــ19م طفرة اقتصادية، فبدأت تسعى للسيطرة على الشعوب المستضعفة متخذة أساليب القوة والنفوذ في شكل أجندات استعمارية، هذه الأخيرة استعدت للمغامرة داخل القارة الإفريقية، قصد بسط نفوذها على كامل التراب الجزائري خاصة، بحيث انتهجت فرنسا جملة من السياسات التعسفية، من بينها سياسة الاستيطان.

وضمان إنجاح مشروعها قامت بتهجير سكان المستعمرة إلى ما وراء البحار، لكن على ما يبدو لم تحقق الاكتفاء المطلوب، لذا سعت في تطوير سياستها الزجرية لخلق ما يسمى بظاهرة الهجرة، التي مست العديد من المناطق الجزائرية، سلكت عدة اتجاهات نحو الخارج.

إن ظاهرة التهجير والهجرة تعد من بين استراتيجيات السياسة الفرنسية في الجزائر المستعمرة، حيث عملت على إفراغها من سكانها الأصليين وملئها بالدخلاء الأوروبيين.

تكمن أهمية الموضوع في معرفة مدى تعامل السلطات الفرنسية مع هذه الظاهرة ضف إلى ذلك رد فعل المقاومات الشعبية على هذه السياسات التعسفية خصوصا ظاهرة الهجرة والتهجير سواء كانت داخلية أو خارجية.

وقد تمحورت الإشكالية: ما الأسباب والدوافع التي أدت بتهجير وهجرة الجزائريين عامة وناحية الحجاز وبلاد الشام خاصة؟ وسنحاول تحقيق ذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما مفهوم التهجير والهجرة؟

- هل تم تهجير وهجرة الجزائريين نحو بلاد المشرق العربي بمحض إرادتهم أم أجبروا على ذلك؟

- ما نتائج هجرة الجزائريين إلى تلك الديار؟

ونظرا لطبيعة الموضوع ونوعية المعلومات المتوفرة اعتمدت في ورقتي البحثية على المنهج التاريخي الوصفي الذي يبرز تتابع الأحداث والمنهج التاريخي التحليلي وذلك بتحليل الأحداث والوقائع التاريخية.

1. مفهوم التهجير:

أ- لغة: التهجير والتَهَجُر: السير في الهاجرة، وتهجر فلان، أي تشبه بالمهاجرين، وتَهجير مفرد مصدر هجَّرَ، وتهجَّرَ يتهجَّر تهجُّرا، فهو متهجر، وهو اسم مؤنث منسوب إلى تهجير، والتهجير مشتق من الهجرة (خليل وصالح، 2017، ص 06)، وهجر فلان أي أخرى بالقوة من بلد الأصلي إلى بلد آخر (ذياب، 2003، صفحة 258).

فكلمة تهجير مشتقة من هجر يهجر تهجيرا فهو مهجر، قد ذكر ابن منظور الهجر: ضد الوصول وبابه نصر، هجر، يهجر، هجرا وهجرانا: أي حرمه (ابن منظور، 2003، صفحة 638).

كما حملت كتب اللغة العربية والمعاجم اللغوية بالعدد من الكلمات والمعاني التي توضح معنى كلمة التهجير منها الإبعاد، النرويج، النفي من مكان إلى مكان آخر بالقوة الجبرية.

فعن ابن الأثير: فإن النفي هو الإبعاد عن البلاد، يقال: نفيته انفيه نفيا. إذا أخرجته من البلد وطردته، أما عن ابن فارس: فالنون والفاء والحرف المعتل الأصيل يدل على تضربه شيء من شيء وإبعاده عنه (ذنون، 2016، صفحة 333).

ويشير الدكتور مروان العطية في كتابة معجم المعاني الجامع إلى كلمة نزول: من فعل نزل، ونزل عن بلاد: أي رحل عنها، ونزل إلى مكان آخر، ونزول السكان: خروجهم وبعدهم عن مقر سكناهم (ذنون، 2016، صفحة 334).

ب - اصطلاحا:

يعرف التهجير على أنه سياسة تتبعها دولة الاحتلال أو أي جهة تابعة لها لتنفيذ أعمال أو اتخاذ إجراءات غير قانونية ترمي إلى تغيير التركيبة السكانية لإقليم معين يخضع لها (نجاجرة، 2015، صفحة 05).

فما يميز هذا النور من التهجير أن حركة الانتقال السكاني تكون مفروضة من طرف الدولة أو تحت قوة سياسة أو عسكرية، حيث تتم بعجز المهاجرين على اتخاذ قرارهم وعدم اختيارهم للموقع عليهم، وهذا ما يشبه العبيد عنها ينقلون بالقوة للعيش فبلدان آخري من طرف تجار الرقيق (حماني، 2009، صفحة 47).

فالتهجير علمية اجتماعية، قبل أن يعتبر عملية مادية أو عمرانية (قباري، صفحة 30)، تخص فئة الأفراد والجماعات المحلية وتكون بصورة دائمة أو مؤقتة داخل حدود البلد أو خارجا، وقد أطلق عليه بالهجران القهرية والاضطرارية بحث يضطر فيها الفرد أو الجماعة إلى النزول من مناطق إقامتهم الأصلية لأسباب عديدة تفرضها الدولة من أجل تحقيق أغراض عسكرية أو تنظيمية بهدف الحفاظ على الأمة أو إعادة توطين السكان (عبيد وديان، 2016، صفحة 273).

كما عرف القانون الدولي الإنساني بأنه:" لإخلاء القسري وغير القانوني لمجموعة من الأفراد من الأرض التي يقيمون عليها، وهذا ما يدل على أنه سياسة إكراه تشريد

وارغام على مغادرة البلد وذلك جراء أو نزاع مسلح أو مخططات تهجيرية وتطهير عرقي (عيسى، 2017، صفحة 01).

2. مفهوم الهجرة:

أ- لغة: من فعل هجر والهجر هو الترك والانتقال "ترك الشيء أو الفعل، والهجرة الخروج من أرض إلى أرض أخرى (أبادي، 2003، صفحة 25)، وقد عرف الإنسان الهجرة منذ القدم، وهي حق من حقوقه أقرها الإسلام وسجل التاريخ الإسلامي أسمى صور الهجرة وأبعدها أثرا وفي مقدمتها هجرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة، وهجرة الصحابة إلى الحبشة والمدينة المنورة،

وهناك أحاديث دعت إلى وجوب الهجرة حيث تسمح الظروف وهذا ما أكد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم حسب رواية ابن عرفة أن الهجرة فرض على من استطاع وقال البخاري أن فرض الهجرة أسبق من الحج والهجرة واجبة على المعاقين ولو على ظهور المكفوفين والويل لمن لا يغادر بلده حين يسقط بين يدي الكفار، وقد دعم ذلك ابن العربي في أحكام القرآن الكريم بقوله:" الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار السلام، وأنها في الشريعة أشهر من أن تحتاج إلى بيان أو تختص بدليل" (عبد الكريم، 1981، صفحة 20).

الهجرة اسم من هجر يهجر هجرا وهجرانا وقطعه ضد وصله، والشيء تركه وأعرضه عنه قال ابن فارس الهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه، أما الاول الهجر ضد الوصل، وكذلك الهجران (بركان، 2011، صفحة 08).

وهاجر من بلده أي خرج منها الى بلدة أخرى، وأهجره تركه، أي الخروج من أرضه إلى أرضه (البستاني، 1995، صفحة 638).

فكلمة هاجروا مأخوذة من الفعل الرباعي " هاجر" والاسم "هجرة" والفعل "هاجر"، وهجر غير هاجر، فقد يترك الإنسان مكانا يقيم فيه فيكون هذا معناه "هجر" أي يترك وهو عن قلة وضيق تدفع إلى الهرب، إنما هاجر لا بد أن يكون هناك تفاعل بين اثنين إلى أن يهاجر(الشعراوي، صفحة 41).

وقد ورد مصطلح الهجرة في القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الأنفال:" والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم". حيث تدل على وجوب الهجرة وشرعيتها.

ب-اصطلاحا: هي ترك الموطن الأصلي إلى غيره من المواطن، وعلى المستوى الانساني هي انتقال البشر من موطن إلى أخر وتستخدم في العلوم الاجتماعية بمعنى التحركات الجغرافية للأفراد والجماعات.

وقد أمرنا الله عز وجل بالهجرة في قوله تعالى:" ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها" " سورة النساء-97"، وبالهجرة تكونت حضارات إنسانية عديدة فتعمير الأرض تطلب من الإنسان الهجرة من مكان إلى آخر، واستقرار كل جماعة متوافقة على قطعة من الأرض بصفة الدوام والاستمرار، وتحرك أخرى إلى أرض جديدة وهذه هي الهجرة الشرعية التي استمرت تحدث خلال ملايين السنين هي عمر الإنسان على الأرض منذ أن أرسل الله عز وجل آدم وحواء إليها (فتح الله، 2003، صفحة 33).

والهجرة هي حق الانتقال من مكان إلى أخر وهي حق من حقوق الإنسان أمرت وحثت عليها الأديان السماوية وأقرتها مواثيق الأمم المتحدة.

تعرفها قونار gonnar بأنها ترك بلد والالتحاق بغيره سواء منذ الميلاد أو منذ مدة طويلة بقصد الإقامة الدائمة وغالبا بقصد تحسين الوضعية بالعمل (مزيان، 2011، صفحة 09).

- إن الهجرة ظاهرة اجتماعية تعبر عن ديناميكية سكانية على شكل انتقال السكان من مكان لآخر، ذلك بتغيير مكان الاستقرار الاعتيادي للفرد وهي جزء من الحركة العامة للسكان (غزالي، 2011، صفحة 13).

وتدل أيضا على انتقال الأفراد والجماعات من منطقة الى أخرى لتحسين أوضاعهم الاقتصادية، أو هروبا من اضطهاد سياسي أو ثقافي أو حروب مدمرة.

وتعرف الهجرة بأنها مأخوذة من مهاجر أو لاجئ وهو الشخص الذي خرج من الجزائر وتوجه الى بلد آخر للإقامة به وذلك هروبا من القمع والاضطهاد السياسي في أرض الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962 كما أنأ اضطر الى ترك منزله لأسباب اقتصادية أو اجتماعية والتوجه إلى بلد آخر قصد العمل وكسب عيشه هناك (بوحوش، 1997، صفحة 542).

فحسب محمود عبد الفتاح شرف الدين: فان الهجرة هي الانتقال من دار الى دار لأسباب دينية أو دنيوية أي الانتقال من مكان يضيق به الى مكان آخر يجد فيه راحة لنفسه ومتسعا لآماله ومنطلقا لسعيه (شرف الدين، 1987، صفحة 9).

3. أسباب ودوافع الهجرة:

1.3 دوافع سياسية وعسكرية:

غداة الاحتلال خرجت أعداد كبيرة من الجزائريين متجهة نحو البلدان المجاورة مثل تونس والمغرب وكانت الهجرة في البداية من مدينة الجزائر ثم تلتها المدن الأخرى وصولا إلى القرى الريفية والمناطق النائية، ومن بين المهاجرين أعيان البلاد وأغنيائها وعلمائها، كما شملت غير الأعيان وكل هذه الأنماط من الهجرة كانت اضطرارية، فبعضهم هاجروا هروبا من السياسة الفرنسية الاستبدادية، وبعضهم فعل ذلك طلبا للعيش في كنف الإسلام والحرية الدينية، كما هاجر آخرون بعد فشل المقاومات والانتفاضات الشعبية وتعرضهم للعقوبات الصارمة ووضعهم تحت قوانين زجرية مثل " قانون الأهالي

" وغيرها من القوانين التعسفية الأخرى، وقد كان بعض أعيان الجزائر قد أجبرتهم السلطات الفرنسية نفسها على الهجرة منهم رجال الإفتاء"ابن العنابي" و"ابن الكبابطي" و"قدور بن رويلة" وكان بعضهم قد تعرضوا للنفي فتحولوا إلى المشرق مثل " عبد العزيز الحداد ومحمد وعلي السحنوني (سعد الله، 1998، صفحة 473).

تذكر المصادر الفرنسية تواريخ مختلفة للهجرة نحو المشرق فهذا أوغسطين بيرك يذكر السنوات التالية كمعالم بارزة في تاريخ الهجرة وهي: 1830، 1832، 1854، 1860، 1870، 1875، 1888، 1898، 1910، 1911، وهناك تواريخ ألح عليها كل من آجرون وباردان، وهي: 1837، 1864،1849، ويذكر باردان أن حركة الهجرة تكاثفت بين 1847- 1854، ثم عام 1896 وقد عرف عام 1911 هجرة غير عادية، وفي 3 فبراير 1912 أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوم الخدمة العسكرية الإجباري على الأهالي من الشباب للالتحاق بالجيش الفرنسي، وقد عارض الشعب الجزائري قرار التجنيد معارضة شديدة، لأنهم كانوا يرون فيه مساسا بشخصياتهم الإسلامية واكتست هذه المقاومة أشكالا مختلفة كالهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية، كالحجاز، سوريا، تركيا... (سعد الله، 1998، الصفحات 474-476).

2.3 دوافع اقتصادية:

في عام 1845 أصدرت الإدارة الاستعمارية أمرا بالاستيلاء على أراضي القبائل، وبموجبه استولت على حوالي نصف مليون هكتار، وفي العام الموالي أصدر قرار بالاستيلاء على أراضي القبائل المشاعة (بوعزيز، صفحة 57)، وهكذا شرد المستعمر الجزائريون من الأرض واستأثروا بها، ووزعوها فيما بينهم توزيعا غير عادل (المدني، 2009، صفحة 96).

وبهذا ركزت فرنسا على إفناء الشعب الجزائري وذلك بإحلال الجاليات الأوربية مكانه، ولا سيما في المدن والقرى الساحلية فعملت على انتزاع الأراضي من الفلاحين

الجزائريين، تشير الإحصائيات الرسمية الصادرة في سنة 1954 إلى أن فرنسا دعمت 24900 أوربي لكي يحصلوا على 2720000 هكتار من أخصب الأراضي بحيث كانت نسبة ملكية الأوربي 109 هكتار للفرد الواحد، في حين كان 532000 مسلم جزائري يملكون 7612100هكتار بمعدل 14 هكتار للفرد الواحد (بوحوش، 1997، الصفحات 198-199).

كما لجأت السلطات الفرنسية إلى طرق أخرى لنهب المزيد من الأراضي كالإيجار أو البيع الصوري الشكلي حيث يقول أحدهم: "عندما كان الأهالي يرفضون بيع أراضيهم كنا نطاردهم فإذا قاومونا بالسلاح، فإن ذخيرة الجنود كانت أقوى من الأوراق القانونية وهذا هو حق الغزو..." (مياسي، 2012، صفحة 124).

فالسهول الخصبة في جهات عنابة، وهران، الجزائر قد غرست كلها كروم لإنتاج الأنواع المتعددة من الخمور فهذه الكروم تحجب اليوم مساحة 400000 هكتار من أجود الأراضي وتنتج سنويا نحو عشرين مليون هكتولتر خمرا، فكان الاقتصاد الجزائري تابعا للاقتصاد الفرنسي وتتحكم فيه الرأسمالية، التي حولت الاقتصاد الجزائري إلى اقتصاد يمد الاقتصاد الفرنسي باليد العاملة والمواد الأولية وبخاصة المحاصيل الزراعية التجارية وعلى رأسها الخمور، أما الثروة الحيوانية فانخفض عدد الأغنام من 8 مليون عام إلى 7,7 مليون عام 1885 إلى 6,3 مليون عام 1900، أما عدد الأبقار فقد انخفض من 1071000 رأس سنة 1887 إلى 792000 في سنة 1937 كما تعمد الاستعمار الفرنسي إلى إعدام كل حركة صناعية في البلاد، فهو يستثمر الأرض وما تحتها لفائدته (الونيسي، 2009، صفحة 15).

ثم إن إحداث صناعة في القطر الجزائري يزاحم معامل فرنسا وهذا ما لا ترضاه دولة الاحتلال كما أن تصنيع القطر الجزائري يغير وضعية سوق اليد العاملة الجزائرية، فيغري العمال الجزائريين بالعمل الصناعي المرتفع الأجر ويزهدهم في العمل الفلاحي

عند المستعمرين مقابل الأجور المنخفضة، وهذا ليس في مصلحة المستعمرين لذلك ترك القطر الجزائري دون صناعة تذكر، اللهم إلا بعض معامل الزيت والصابون وصناعة السجائر والتبغ، وما بقي من الصناعات المحلية مثل نسيج الزرابي "السجاد" وحياكة الأصواف للاستهلاك المحلي لكن هذه الصناعات الجزائرية التقليدية عجزت عن التطور أمام الصناعة الأوربية الحديثة نتيجة لفتح الجزائر في وجه الصناعة الأوربية المتطورة بدون قيود ولا حدود، فالاستعمار هشم الأمة الجزائرية من ناحية الصناعة وحطمها تحطيما وأغلق في وجهها أبواب الأمل والرجاء، مع أن خيراتها متوفرة وإمكانياتها عظيمة (بوالصفصاف، 1981، صفحة 33).

3.3 دوافع اجتماعية:

رفعت اللجنة الإفريقية تقريرا عام 1833 والذي وصفت فيه حالة وأوضاع الشعب الجزائري"...لقد قتلنا أناسا كانوا يحملون رخص التجول، وذبحنا سكان المدن والقرى المشكوك فيهم وتبين فيما بعد أنهم كانوا أبرياء" (بوضرساية، 2009، صفحة 91).

وبهذا تأسست مراكز الاستعمار في الساحل ومتيجة، وهران، عنابة، سكيكدة، وفي إحصائيات عام 1911 كان عدد الفرنسيين يبلغ نسمة 752000 و189000 أجنبي وفي سنة 1936 كان عدد الفرنسيين يبلغ 819000 و127000 أجنبي، حتى وصل العدد إلى واحد مليون مهاجر سنة 1954 (بيضون، 1991، صفحة 109).

كما أسست لفائدتهم أكثر من 400 قرية استعمارية وعبّدت لهم الطرق والسكك الحديدية، فاستولوا على الوظائف العمومية وعلى المهن الحرة فهم يحتكرون التجارة ورؤوس الأموال ويشرفون على الأمن العمومي، فمنهم الموظف السامي والمهندس والأستاذ وصاحب المعامل فكانوا يتمتعون بجميع حقوق الجنسية الفرنسية (عباس، 1994، الصفحات 93-95).

تعرض الجزائريون لمعاملة عنصرية فضيعة تميزت بالشدة والغلظة والقساوة، فحرموا من بعض المزايا التي يتمتع بها العامل الفرنسي وفرض عليهم العمل من 12 إلى 14 ساعة في اليوم بأجر لا يزيد على 14 إلى 20 ألف فرنك في الشهر، مع عدم ضمان الاستمرار في العمل هذا في حين أن العامل الفرنسي لا يعمل إلا ثماني ساعات في اليوم، ثم إن العامل الجزائري لا يسمح له بأن يعمل في حقل الصناعات الفنية والمعامل الهامة، حتى لا يتمكن من تعلم أية حرفة أو مهنة فنية تتيح له العيش والعمل، بل على العكس تجد الجزائريين يعملون في الأعمال الشاقة واليدوية مثل الحفر، الشحن، جر العربات في المناجم والمباني والطرقات وغيرها في سنة 1892 شاهد جول فيري بعد تحقيق في الجزائر حالة البؤس والشقاء التي يتخبط فيها الشعب الجزائري ووصف تلك المناظر قائلا: "رأيناها تلك القبائل البئيسة التي تسلط عليها الاستعمار فأجلاها والحجز فأرهقها، ونظام الغابات فطاردها وقوانينه فأفقرها، سمعنا شكواتهم ورأينا رأي العين بؤسهم ولامسناه لمسا، رأينا وسط الغابات بقعا محروثة وحقولا مزروعة شعيرا وقمحا قرب سهول حرثها طيلة قرون المحراث العربي العتيق، سلبت من يد الجزائري سلبا وضمت إلى أملاك الغابات فأدركنا بأن في الجزائر تجري أمور ليست أهلا بفرنسا، تتنافى مع العدل ومع سياسة متبصرة" (بوعزيز، صفحة 58).

فهذه الظروف القاسية هي التي دفعت كثيرا من هؤلاء الكادحين إلى الهجرة، سواء كانت داخلية شبه جماعية إلى المدن وهذا للاستقرار على أطرافها كما تسببت الظروف القاسية إلى الهجرة الجماعية وأهمها هجرة 1888، 1890، 1896، 1889، 1911، وكانت أسبابها دينية، اقتصادية، سياسية باتجاه دول تونس، سوريا، فلسطين، لبنان، وكذلك من بين العوامل أيضا هو إصدار السلطات الاستعمارية سنة 1904 قانونا يفصل بين الدين والدولة، وأدى ذلك إلى تخوف السكان من النتائج التي ستترتب عن هذا القانون في

حالة تطبيقه في وطنهم، وهو ما أدى بالكثير إلى أن يقدموا طلبات جماعية لمغادرة البلاد والأخص من مدينة تلمسان سنة 1911 (هلال، 2012، الصفحات 14-15).

ودفع البؤس والفقر الكثير من الجزائريين إلى الهجرة نحو فرنسا بحثا عن العمل والقوت منذ بدايات القرن العشرين، وكانت أعدادهم تتزايد من سنة إلى أخرى رغم ضغوط المعمرين، من أجل عرقلة هذه الهجرة بهدف إبقاء الجزائريين في البلاد ولاستغلالهم في خدمة الأرض على العموم (الونيسي، 2009، الصفحات 15-16).

بلغ عدد المهاجرين إلى فرنسا وحدها سنة 1923 أكثر من 92000 عامل، وفي هذا الصدد يقول فرحات عباس: "ستة ملايين من السكان لم يبق في أراضيهم إلا الأراضي الجدباء، وبلغ الثلثان من هؤلاء السكان من الجوع والبؤس والفاقة مبلغها لا يجدون عملا يقتاتون به، ولا مما يسدون به رمقهم، جردت القبائل الغنية والقوية من خيراتها لأن أراضيهم وممتلكاتهم أصبحت نهبة الناهب بتداولها الغزاة ويخوض عمرانها المستعمرون المكتسحون، ولم يبق في وسع العربي الذي أصبح غريبا في أرض الآباء والأجداد إلا أن يكون خادم المعمر أو جندي الإمبراطورية"(عباس، 1994، صفحة 16).

4.3 دوافع دينية:

لم تقتصر اعتداءات الاحتلال الفرنسي على الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب، بل عمد إلى تدمير معالم الثقافة والفكر فيها، وقد ظهر حقده الصليبي في إصراره على تجهيل الشعب وتحطيم مقومات الأمة، وفي مقدمتها الدين الإسلامي واللغة العربية باعتبارهما يناقضان حضارتهم، ويعرقلان أهدافهم ومشاريعهم الاستعمارية، لهذا الغرض أصدرت الحكومة الفرنسية عدة قرارات ومراسيم تهدف تدريجيا إلى تصفية أملاك الأحباس من مساجد، مدارس، زوايا، وهذا ما أكده تقرير اللجنة الإفريقية التي بعث بها ملك فرنسا إلى الجزائر سنة 1833 حيث جاء نصه كما يلي:

"...ضممنا إلى أملاك الدولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الأوقاف، واستولينا على أملاك طبقة من السكانكنا تعهدنا برعايتها وحمايتها..." (عمورة، صفحة 252).

لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدينية ونبشنا القبور، واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين... ثم عمدت إلى تحويل المساجد إلى كنائس وكاتدرائيات وثكنات، فتحول مسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة إلى كاتدرائية، ولم يبق سوى أربعة مساجد من بين 160 مسجدا وزاوية حولتها إلى كنائس ومراكز الشرطة، واصطبلات لخيول الحرس المتجول، أما بالنسبة للأمية لم تكن سائدة في الأوساط الجزائرية، فكانت الكتاتيب حوالي 3000 وكانت المساجد والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها تنشئة عربية ودينية صالحة (بوعزيز، صفحة 73).

فالاستعمار الفرنسي قد حطم الكتاتيب القرآنية وحجرة التعليم في المساجد والتي دمر وحطم أكثرها، فسياسة التجهيل كانت شعار الاحتلال الفرنسي في قطر الجزائر (المدني، 2009، الصفحات 116-117).

وبقدر ما عملت السلطات الاستعمارية على إذلال الدين الإسلامي وتحطيم كيانه، وجدت في تشجيع ونشر الديانة المسيحية والحركات التبشيرية واستغلت صدور قانون 27 ديسمبر 1907 الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة بالجزائر (بوعزيز، صفحة 73).

5.3 دوافع ثقافية:

لقد تجاهلت الحكومة الفرنسية في أول أمرها قضية التعليم، ولم تكن مشتغلة إلا إفناء العنصر الجزائري، وتحطيم قواه وإخماد حركاته ثم أخذت في فتح أبواب المدارس شيئا فشيئا أمام أبناء الجزائريين منذ سنة 1883، لكن التعليم كان ولا يزال فرنسيا بحثا، لا عربيا ولا جزائريا فاللغة الفرنسية فيه هي لغة الوطن وبلاد فرنسا فيه هي الوطن، وتاريخ فرنسا فيه هو تاريخ الوطن وهكذا (المدني، 2009، صفحة 117).

وهذا ما فعلته المدارس الفرنسية والتي كانت تحاول هدم مقومات الشخصية الجزائرية بتعليم الجزائريين آداب الغربيين وتاريخ الغاليين، ولغة الفرنسيين وذلك تطبيقا لتوصيات قادة الاحتلال الذين حثوا جيشهم سنة 1830 بقولهم: «علموا لغتا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة» وهذا مثال آخر لأحد القواد الفرنسيين الذين كانوا يعبرون عن أهداف فرنسا الحقيقية في الجزائر: «إننا جئنا إلى الجزائر يقصد الفرنسيين إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا» هذا هو هدف الاستعمار الحقيقي من تعليم الجزائريين لغته وثقافته (بوالصفصاف، 1981، صفحة 152).

كذلك نجد أن بعض غلاة الاستعمار يتحمسون لفكرة نشر المدارس الابتدائية الفرنسية في كل مكان من الجزائر، بل إنهم نادوا بتعليم الأهالي اللغة الفرنسية بدلا من اللغة العربية باعتبار اللغة الفرنسية، أداة لغزو النفوس والقلوب ولذلك طالب هؤلاء الغلاة باجتذاب الجزائريين إلى المدارس الفرنسية، عن طريق منحهم بعض المزايا حتى يمكن تكوين طبقة معتدلة من الزعماء الوطنيين الذين يعملون على تدعيم النفوذ الفرنسي في الجزائر (مياسي، 2012، الصفحات 157-158).

أصدرت الإدارة الاستعمارية قوانين جائرة ضد تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، مثل قانون 18 نوفمبر 1892 الذي يقضي بعدم فتح أية مدرسة إلا برخصة من السلطات الفرنسية وتحت إجراءات جد صعبة منها، قبول عدد محدود جدا من التلاميذ في هذه المدارس (عمورة، صفحة 253).

منذ بداية القرن 20 أخذت السلطات الاستعمارية تهتم أكثر بمقاومة اللغة العربية والتضييق على أصحابها والراغبين في تعلمها، فقد أصدرت في 24 ديسمبر 1904 قرارا يقضي بعدم السماح لأي معلم جزائري أن يفتح مدرسة لتعليم العربية، دون الحصول على رخصة من عامل العمالة أو الضباط العسكريين في المناطق الخاضعة للحكم العسكري.

لقد انطلقت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سياستها التعليمية، من واقع المجتمع الجزائري الذي فقد كل مصادر المعرفة نتيجة، لسياسة التجهيل التي اتبعتها السلطات الاستعمارية في الجزائر، (kadache, 2002,p 18) لذلك اتخذوا من المدرسة أداة رئيسية لمحاربة الاستعمار، فالعلماء اعتبروا التعليم اللبنة الأولى في يقظة الشعب كانوا ينظرون إلى المجتمع نظرة واقعية، بحيث أن الثقافة العربية في الجزائر و التي تربط الفرد بماضيه و حاضره قد أوشكت على الاندثار، و كاد المسلم الجزائري يفقد شخصيته العربية التي تميزه على شخصية الأوربيين، الذين يستهدفون إدماجه في كيان المجتمع الفرنسي، لذلك كانت حملتهم على الجهل عنيفة فاستحقت بذلك الأولوية في برنامج العلماء (بوعزيز، صفحة 66).

إن الإدارة الفرنسية بعد أن تفطنت لخطورة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وما أحدثته من تغيير في الأوساط الاجتماعية سارعت لغلق المدارس، والمساجد والكتاتيب القرآنية في شتى أنحاء القطر، كما أخذت تلاحق المعلمين والمدرسين في مؤسسات الجمعية، (kadache,2002,p19) كما عمدت إلى إنشاء جمعيات تحت أسماء دينية مختلفة كالتي أنشأتها في تبسة باسم "الجمعية الدينية الإسلامية" ووضعت على رأسها فرنسي يدير شؤونها ويوجه أهدافها. كما بلغت محاربة اللغة العربية والتعليم العربي الحر ذروتها كالقرار الذي أصدره السيد شوطان وزير داخلية فرنسا في 8 مارس 1938 الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر (بوالصفصاف، 1981، الصفحات 149-150).

وفق ما ورد في جريدة البصائر التي كتبت عن هذه الحادثة والظلم المسلط على اللغة العربية ورجالها في الجزائر، حيث كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس في عددها الصادر بتاريخ 8 أفريل 1938: " وقد فهمنا والله ما يراد بنا وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا

ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصيبنا على ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا" (البصائر، 1938، صفحة 143).

كما وصف الشيخ ابن باديس هذا القانون بالسم الذي أصاب الجزائر في روحها وصميم فؤادها وفي مهد حياتها، كما كتب في جريدة الصراط السوي مقالا تحت عنوان:" بعد عشرين سنة في التعليم تسأل هل عندك رخصة" (بلاح، صفحة 225).

وفي إطار المواجهة مع الإدارة الاستعمارية طالبت الجمعية كل معلم قرآن أو مدرسة طلب الرخصة من الإدارة، كما قامت بحملة مناهضة ضد قرار 08 مارس 1938 المشئوم وذلك بالاتصال بمختلف الجمعيات لاسماع الرأي العام الجزائري بكل فئاته، والقيام بالاحتجاج على هذا القرار. (مطبقاني، 1992، صفحة 101).

لقد كان لعامل الهجرة نحو بلدان المشرق العربي ومنها سوريا دوافع كثيرة مختلفة ومتنوعة بسبب السياسة الاستعمارية الجهنمية " مصادرة، تفقير، تنصير، تقتيل..." التي طبقتها الإدارة الفرنسية في حق الجزائريين الذين حرموا من أبسط الأشياء، وبالتالي أصبح التفكير في إيجاد وطن آمن يحميهم من الممارسات القمعية التي لاقوها في بلدهم الجزائر.

4. تهجير الجزائريين إلى بلاد الشام والحجاز:

1.4 الهجرة إلى بلاد الشام:

بعدما كانت محاولة تطبيق سياسة الاستيطان الجديدة في الجزائر أحد أهم أسباب ثورة 1871م تحولت فيما بعد إلى ضرورة تعويضه بنظام آخر (طرشون، الصفحات 218- 219) ألا وهو الحكم المدني عام 1868م، الذي يُعنى به الزيادة في الضرائب المجحفة، ومصادرة الأراضي ومنحها للمستوطنين مع استدعاء نساء الأهالي إلى المحاكم (روبير وآخرون، 2007، صفحة 22) فثورة المقراني بالرغم من قصر مدتها إلّا أنها تميزت بكبر حجمها وارتفاع عدد ضحاياها وكذا فظاعة ردّ فعل السلطات الاستعمارية في

حجر 301.516 هكتار من الأراضي وتقديم مساحات منها السكان "الألزاس واللورين" الذين فرّوا من الحرب الألمانية الفرنسية 1870م (بن حمودة، 2014، ص 46)، ومن جهة أخرى أصدرت أحكام النفي بحق الأهالي والزعماء مثل الشيخ المقراني إلى الخارج مع الأشغال الشاقة (سعد الله، 2000، صفحة 270).

كما استقبلت بلاد الشام بين 1871- 1900 عددًا مهما من العائلات الزواوية المهاجرة من مناطق بجاية والبويرة وتيزي وزو. وكذلك من مناطق الشاوية في الأوراس وجبل ارغيس وغيرها. إذ حلّوا عند إخوانهم المهاجرين الجزائريين الذين سبقوهم، مع العلم أن حالتهم السيئة جعلت من الدولة العثمانية تعطف عليهم بالأراضي والمساعدات وتقوم بتأسيس قرى لهم؛ فحقيقة أن الزواوة لم يجدوا في كفاحهم ضد المحتل الفرنسي سوى العرب وخاصة عرب الشام الذين وجدوا في الزواوة الأمن والأمان وفرص النجاح الاجتماعي (الخالدي، 2013، الصفحات 152- 153).

وهو الأمر الذي دفع بالسلطات الفرنسية إلى التدخل ومنع الجزائريين من تأدية واجبهم الديني، خاصة عندما علمت أن معظم الذين يطلبون جوازات السفر من الإدارة الفرنسية بحجة الذهاب إلى الحج، كانوا يتوجهون إلى سوريا عن طريق البرّ والبحر ثمّ يستقرون هناك (هلال، 2007، صفحة 30)، وأمام هذه السياسات الاستبدادية والإجراءات التعسفية قرر الأهالي سنة 1874م الهجرة من البلاد، وكانت الهجرة عامة بما فيها القطاع الوهراني ومنطقة القبائل، ومناطق من القطاع الفلسطيني بحيث قدر عدد من الذين خرجوا منه حوالي 700 شخص، أما سنة 1876م فوصل عدد المهاجرين إلى تونس وحدها حوالي 16.600 شخصا وما ميزها أنها تمت فرارا عبر الطرق البرية، ومنها انتقل جلّ هؤلاء المهاجرين إلى بلاد الشام ومصر، والحجاز واسطنبول (طرشون، الصفحات 223-224)

هجرة أواخر القرن 19م:

شهدت سنتي 1882- 1884م هجرة الجزائريين إلى سوريا بطريقة قانونية أي لدى كل منهم جواز سفر أو رخصة خروج من الجزائر تسلمها الإدارة الفرنسية، لكن المرء هنا يتساءل كيف حصل هؤلاء على جوازات سفر، وقانون شهر أفريل 1856م قد منع منح رخص الخروج وجوزات السفر للأهالي، وخاصة للذين يريدون مغادرة البلاد دون رخصة؟ يبدو أن الأمر فيه تواطؤ بين الإدارة الفرنسية والأولون لإبعاد الجزائريين عن أرضهم والتخلص منهم نهائيًا وبالتالي استحواذ الأولون على أراضيهم، وخاصة أن قانون 1856م يعتبر كل متغيب عن أرضه مدة ثلاث سنوات أو أكثر يصبح متنازًلا عنها (هلال، 2007، الصفحات 43- 44).

هجرة 1888:

عرفت سنة 1888م هجرة جزائرية كبيرة إلى سوريا واعتبرتها السلطات الاستعمارية هجرة غير قانونية أي بدون ترخيص من الإدارة الفرنسية، حيث عرفت الجزائر العاصمة هجرة أكثر من 347 شخصا، كما شهدت بلدية قسنطينة في نفس الظروف وفي الوقت نفسه هجرة حوالي 231 شخص، وقد قامت السلطات الفرنسية بتحميل مسؤولية الهجرة التي عرفتها الجزائر العاصمة إلى الشيخ الطاهر الجزائري باعتباره زار الجزائر تلك الفترة (هلال، 2007، صفحة 90).

إن هجرة 1888م لم يكن منطلقها الجزائر فقط بل خرج جلّ المهاجرين الجزائريين من تونس، الذين قد هاجروا إليها من قبل، وكان من أسباب هذه الهجرة الحماية التي فرضتها فرنسا على تونس عام 1881م فهؤلاء المهاجرون حرموا من الامتيازات التي منحتهم إياها حكومة الباي، كما فرض عليهم الخيار بين أمرين إمّا التجنيس بالجنسية الفرنسية، أو اعتبارهم رعايا تونسيين عليهم ما على الرعايا من ضرائب وخدمة عسكرية (طرشون، الصفحات 224 - 225).

كما عرفت سنة 1892م هجرة الجزائريين نحو سوريا من بلاد القبائل الذين التحقوا بأهلهم وذويهم في الشام "سوريا"، ومما يدل أن الهجرة الجزائرية (علاوة، صكاك، 2017، ص 32) قد بلغت درجة كبيرة من الخطورة أقلقت إدارة الاحتلال الفرنسي أن هذه الأخيرة عمدت إلى استعمال أيأس الوسائل، ليعدل الناس عن الهجرة إلى الأراضي العثمانية من ذلك أنّها أمرت الأئمة الجزائريين في المساجد التابعة لها أن يفتوا للناس أنه لا مانع أن يسكن المسلم أرضًا محتلة من طرف الكفار، أمّا في سنة 1896م فقد سجل القنصل الفرنسي العام في دمشق وصول 105 عائلة جزائرية إلى دمشق أي بمعدل 403 أشخاص قدم جلهم من تيزي وزو ودلس وأزفون، أزكوكور، بجاية، واستقر قسم منهم في دمشق، أمّا الباقي فاتجه إلى منطقة طبرية من ولاية بيروت (طرشون، ص 226).

اعتبرت هجرة 1898م أهم حركة من تحركات الجزائريين نحو الأراضي العثمانية، لم تقتصر هذه الهجرة على الأهالي المقيمين في الداخل فقط، بل تعدت لتشمل المهاجرين في تونس فحسب تقارير الحاكم العام الفرنسي للجزائر فإن أكثر من 38 عائلة مكونة من حوالي 176 نسمة من ياكوران فقط، قد شدت رحيلها إلى دمشق بعد أن كانت مستقرة في تونس مدة تتراوح ما بين 3 و8 سنوات (هلال، 1984، صفحة 90)، كما تطلعت بعض المصادر إلى وصول عدة جماعات من المهاجرين الجزائريين إلى دمشق، من تيزي وزو وضواحيها، وفي نهاية سنة 1898 م وصل أكثر من 600 مهاجر إلى سوريا (هلال، 2007، ص 54)، إذ يعزوا السيد لوسياني أسباب هذه الهجرة إلى ما أسماه الدعاية العثمانية حيث يقول: " هدفه هذه الدعاية العثمانية إلى إثارة الشعور الديني لدى مسلمي المستعمرات وخاصة المستعمرات الفرنسية"، ففي نظره كانت تتم هذه الدعاية العثمانية عبر عدة رسائل من بينها الصحف والجواسيس، إلّا أن السيد لوسياني يضخم من دور الدعاية العثمانية متجاهلًا العوامل الحقيقية التي كانت تشكل الأرضية الفعالة في حركة الهجرة الجزائرية (علاوة، صكاك، 2017، الصفحات 39 -40).

في حين أن الحالة الاجتماعية والوضعية الاقتصادية التي كان يعيشها الأهالي الجزائريون متدهورة، خاصة عندما استولى الاستعمار الفرنسي على أراضيها لإقامة التجمعات الاستيطانية وقرى للكولون، وهو ما صرح به أحد الجزائريين قائلًا: ستستمر هجرتنا لبلادنا حتى تتقلص أعدادنا بكيفية تسمح لمن بقي منا في بالبلاد أن يكتسب عيشه من المساحات الأرضية المتواضعة التي بقيت تحت أيدينا" (هلال، 1984، الصفحات 90 - 91) لكن السلطات الاستعمارية في كل مرّة لم تسفر عن التدابير التي اتخذتها للقضاء على الهجرة الجزائرية عن أية نتيجة تذكر، بدليل حدوث هجرة أخرى سنة 1899م، وقد تكون من أهم الهجرات الجزائرية التي حدثت في أواخر القرن الماضي (هلال، 2007، صفحة 80)، إذ هبّ تيار هاته الهجرة على مناطق الشرق الجزائري من تونس وذلك بفضل هؤلاء الدعاة العثمانيين، مع العلم أن تونس كانت تتمتع بشيء من الحرية في بعض المجالات، عكس الجزائر التي ضرب عليها الاستعمار الفرنسي حصارا شديدًا. ضف إلى ذلك قرب تونس من الجزائر، ووجود أعداد من المهاجرين الجزائريين في هذا البلد الذين بإمكانهم نقل أخبار الدعاية العثمانية إلى إخوانهم في الجزائر (هلال، 2007، صفحة 81).

2.4 الهجرة إلى الحجاز:

إن أرض الحجاز وما تحتويه من أماكن مقدسة كالمسجد الحرام والكعبة المشرفة بمكة، وكذا المسجد النبوي وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، جعلها تستهوي أفئدة المسلمين عامة والجزائريين خاصة، خلال موسم الحج والعمرة ولذلك نشير أن هجرة الجزائريين الى الحجاز كانت في الغالب مؤقتة لصعوبة الحياة بها، وعلى الرغم من أن الهجرة لم تكن نشيطة اتجاه هذه الأرض، إلا أن ذلك لم يمنع الجزائريين من الهجرة اليها ولو بأعداد قليلة، سواء بصورة مباشرة أو عبر الشام، ولا توجد تقارير مفصلة عن عدد الجزائريين بالحجاز، لكن عند دخول بعض الفرنسيين الذي توغل متنكرا في زي

إسلامي، جعلنا نتعرف على بعض "L Roches" البلاد كليون روش أسماء المقيمين من الجزائريين كمحمد بن علي السنوسي" 1787-1859" مؤسس الطريقة السنوسية ولد في مستغانم ونشأ في بيت علم ودين وفضل (نويهض، 1980، الصفحات 179-180)، وتشير بعض الاحصائيات الى استقرار حوالي ألف جزائري في أواخر القرن 19 م وجلهم من مدينة سيدي عقبة بولاية بسكرة (صحراوي، صفحة 174).

وحسب ما جاء في كتاب أبو القاسم سعد الله، فان كنا لا نعرف الأرقام عن الجزائريين العاديين في الحجاز، فإننا نعرف على الأقل بعض المشاهير من العلماء ورجال التصوف والضباط والثوار الهاربين من المنافي الفرنسية محمد ابن العنابي " 1775- 1850"، من أوائل المجددين ودعاة الاصلاح في القرن 19 (نويهض، 1980، الصفحات 244-245)، ومصطفى الكبابطي ولد بالجزائر من فقهاء المالكية كما تولى التدريس في الجزائر (العسلي، 2009، ص 247) ومنهم أيضا: قدور بن رويلة كاتب الأمير عبد القادر " 1807- 1883" أمير، مجاهد، شاعر وأديب عالم صوفي، قاد المقاومة الشعبية ضد الاستعمار من " 1832- 1847" (bertueil,1856, p p 55-56)، والذي كان من الأوائل الذين دعوا الجزائريين الى الهجرة عندما كانت المقاومة على أشدها ضد الفرنسيين، وقد كان له دور سياسي واجتماعي وثقافي هام ببلاد الشام (faucon, 1889, p 05) ومنهم أيضا خليفة الأمير في حمزة (البويرة) أحمد الطيب بن سالم، من أصل مغربي ولد سنة 1847م من عائلة شريفة استقر جده بالجزائر... (زاير، 2010، ص 90)، وحل بالحجاز الشيخ عزيز (عبد العزيز) الحداد، والذي فر الى الحجاز من كاليدونيا الجديدة (سعد الله، 2015، صفحة 484).

واختار الحجاز أيضا محمد وعلي السحنوني الذي أبعدته فرنسا الى كايان ثم سمح له، بالإقامة في مكة والمدينة، وكان السحنوني قد شارك في ثورة 1871م، (سعد الله، 2015، صفحة 484) ضف الى ذلك من العلماء الجزائريين المناهضين للاستعمار

والمهاجرين الى الحجاز أحميدة بن الطيب بن علال الجزائري " 1871- 1943م"، وهو باحث تاريخي وعالم بالحديث والفقه المالكي، والذي تعلم في زاوية الهامل (بالقرب من بوسعادة)، اذ رحل الى الشام ثم استقر نهائيا بالمدينة المنورة حيث مات، وأيضا "علي بن الحفاف (ت 1890 م)، ويعتبر صاحب الفتوى الشهيرة التي حكم فيها بالكفر على علماء مدينة الجزائر الذين لم يهاجروا بعد الاحتلال الفرنسي لها (شترة، 2013، الصفحات 306- 311).

أما من طلبة العلم المزابيين نجد "أحمد رضا حوحو" 1895م- 1956م"، كاتب وأديب مجدد ولد في سيدي عقبة ببسكرة، حيث هاجرت عائلته الى المشرق واستقرت بالمدينة المنورة، وفي نفس سياق العمل الإصلاحي بالجزائر تأتي شخصية الطيب العقبي " 1890-1960م" وهو كاتب وخطيب وصحفي (شترة، 2013، صفحة 312).

الخاتمة:

- إن الهجرة والتهجير كلاهما ظاهرة اجتماعية، كانت وليدة أسباب ودوافع اجتماعية، اقتصادية، ثقافية... واتصفت بالاستبداد والقهر الاستعماري.

- أخذت طابع الهجرة الطواعية والقسرية، إلا أن أبرز دوافع الظاهرة تمثلت في إجحاف القوانين التعسفية التي مورست ضد الشعب الجزائري.

- لقد أقدمت السلطات الاستعمارية على ربط ظاهرة التهجير والهجرة بمشروعها الاستيطاني ذلك بإفراغ الجزائر من محتواها الثقافي، العلمي، البشري السكاني، الديني...

- إن ظاهرة الهجرة كانت تعبير عن رفض الشعب الجزائري لسياسة التسلط والعبودية، متجهين إلى بلدان أخرى حيث الأصالة والحرية والقيم الروحية للمحافظة على الأحوال الشخصية، مقتصرة على فئة العلماء والطلاب والمشايخ...

- ساهم المهاجرون العائدون من تلك الأوطان في تشجيع الهجرة، وإنضاج النهضة العلمية والفكرية من خلال بروز نخبة علمية مثقفة، فهؤلاء المهاجرون عاشوا حياة لا

بأس بها حيث تمكنوا من تحسين أوضاعهم المعيشية والاجتماعية. من خلال ممارستهم لشتى أنواع الصناعات.

- ظلت الهجرة إلى المشرق العربي والحجاز ومناطق عربية وإسلامية أخرى المنفذ الرئيسي الذي ينفذ منه الجزائريون للعيش في كنف الحرية والروح الإسلامية، ثم القيام بواجب الدعم المادي والمعنوي للمقاومة الوطنية الجزائرية.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

نويهض عادل، (1980)، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت.

بوالصفصاف عبد الكريم، (1981)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، ط1، دار البعث للطباعة و النشر، الجزائر.

محمد بن عبد الكريم (1981)، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية دراسات ووثائق، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر.

سعد الله أبو القاسم،(1984)، الحركة الوطنية الجزائرية 1847 – 1918، مجلة الثقافة العدد 28، 1404هـ – 1984.

محمود عبد الفتاح شرف الدين، (1987)، اشراقات شمل الهجرة المحمدية على الإسلام.

بيضون جميل، (1991)، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع.

عباس فرحات، (1994)، الاستعمار، الشاب الجزائري، ترجمة أبو بكر رحال، الجزائر.

بوحوش عمار، (1997)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

سعد الله أبو القاسم، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

سعد الله أبو القاسم، (2000)، الحركة الوطنية الجزائرية 1860- 1900، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

الفيروز أبادي، (2003) مجد الدين محمد بن يعقوب: قاموس المحيط، الطبعة الثانية، دار التراث العربي، بيروت.

ابن منظور، (2003)، لسان العرب، ج09، دار الحديث، القاهرة.

فتح الله طارق، (2003) قرارات أبعاد الأجانب والرقابة القضائية عليها، مجلة بحوث الشرطة، القاهرة.

شارل روبير وآخرون، (2007)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871- 1919، ج1، دار الرائد، الجزائر، 2007.

طرشون نادية، (2007)،هجرة الطبيب بن سالم وجماعته إلى الشام عام 1847، أعمال الملتقى الوطني هول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830- 1962)، منشورات وزارة المهاجرين، الجزائر 2007.

العسلي بسام، (2009)، جهاد الشعب الجزائري، ج1، دار النفائس، بيروت

المدني أحمد توفيق، (2009)، حياة كفاح (مذكرات)، ج1، دار البصائر، الجزائر.

الونيسي رابح، (2009)، التيارات الفكرية المعاصرة في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والإخفاق (1920-1954)، كوكب العلوم، الجزائر.

بوضرساية بوعزة، (2009)، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر، (1870-1930) وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.

زاير عبد القادر، (2010)، دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية " 1832- 1847"، الجزائر.

غزالي محمد، (2011)، الهجرة السرية في الجزائر من خلال الصحافة المكتوبة صحيفة الشروق نموذجا، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع والاتصال، جامعة بسكرة.

مزيان محمد، (2012) الحراقة، المعاش والتصورات، رسالة ماجستير، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة وهران.

مياسي إبراهيم، (2012)، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

شترة خير الدين، (2013) المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية، ط خ، دار كردادة، الجزائر.

سهيل الخالدي، (2013)، الجزائر وبلاد الشام، صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال، منشورات الحضارة، الجزائر.

بن حمودة بوعلام، (2014)، الثورة الجزائرية، ثورة أول نوفمبر 1954، معالمها الأساسية ط2، دار النعمان.

آدم سميان ذياب، (2014)، جرائم التهجير القسري للسكان، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية، العدد 23.

برنس صالح المحمدي ذنون، (2016) نحو نظام قانوني لتعويض الأضرار الناجمة عن النزول القسري للأفراد داخل دولهما، مجلة جامعة تكريت للحقوق، المجلد01، العدد02، الجزء02.

محمد خليل إبراهيم، خيال صالي محمد،(2017) االتهجير وأثار السلبية على الفرد والمجتمع، دراسة عقدية، مجلة الد راسات التاريخية والحضارية، المجلد 09، العدد 29.

بوعزيز يحيى، (د.ت)، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية (1830-1954)،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

عمورة عمار، (د.ت)، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر خاصة من ما قبل التاريخ إلى 1962، ج2، دار المعرفة.

بلاح بشير، (د.ت)، مواقف الحركة الوطنية الاصلاحية الجزائرية من الثقافة " 1925-1940"، هدية من وزارة الثقافة عالم الثقافة، الجزائر.

صحراوي عبد القادر، (د.ت) الجزائريون والرحلة الى الحجاز خلال عهد الاستعمار الفرنسي، جامعة جيلالي اليابس. الجزائر.

المراجع باللغة الأجنبية:

Aeren Bertueil, (1856), Lalgérie Françaises, tom Sesond, Paris.

Narcisse faucon,(1889), Livre D’or De L’Algérie, préface de M. Le Colonel Trumelet Tom Ler, Biographies, paris,

Kadache Mahfoud,(2002), L’étoile nord – africain (1926-1937), office des publication universitaires, Alger.

الملاحق:

الملحق: رقم 1

عن أسباب هجرة الجزائريين إلى سوريا في الخمسينات من القرن الماضي

من القنصل الفرنسي في دمشق

إلى

سعادة وزير الشؤون الخارجية

طلبتم مني سعادة الوزير في برقيتكم المؤرخة في 26 من الشهر الماضي، أن أحيطكم علما بالاستقبال الذي حظي به الجزائريون في إقاماتهم الجديدة، وعن الدوافع التي دفعت هؤلاء المسلمين لمغادرة الجزائر ليستقروا في أراضي السلطان.

أن هؤلاء الفقراء قد خيب ظنهم شأنهم شأن الذين سبقوهم، أو الذين سيلتحقون بهم.

لقد اهتم زملائي الذين سبقوني لهذا المنصب دوما بهذه الظاهرة، وبالأخص منهم السيد دو لوبيردا De lesperda، الذي ألح في رسالته المؤرخة بتاريخ 26-4-1853، على المشاغبات التي يقوم بها ابن سالم، أحد الخلفاء القدامى للأمير عبد القادر، الذي استقر في ضواحي دمشق. واليوم لنستطيع الوقوف عن أسباب الهجرة، يجب أن نصعد إليه. أما الوسيلة التي يستعملها - لجلب المهاجرين الجزائريين إلى سوريا - فهي جد

بسيطة. استحوذ ابن سالم على أراض كثيرة بضياعها وفي نيته انشاء مستوطنة خاصة به يستثمرها بسواعد المهاجرين الجزائريين، وهو ما أدى به إلى استدعاء الكثير منهم عن طريق المراسلة، يعدهم بالثراء السريع محمسا إياهم للهجرة بإثارة الاحساس الديني في نفوسهم، واستبداد بعقيدتهم وثقتهم يضعهم في وضعية سيقفون بأنفسهم على النتائج الخطيرة التي ستنجر وراءها.

ولكن ما هي الأسباب التي جعلته (ابن سالم) يقف هذا الموقف ؟ يصعب عليّ سعادة الوزير أن أفسر لكم ذلك. ورغم أنه يراسل الأمير عبد القادر باستمرار ويخبره بدون شك بتطورات هذه الهجرة، ليس لدي دليل قاطع يثبت إدانة هذا الأمير وتورطه في هذه القضية، على الأقل حتى هذه الساعة وهو الشيء الذي يجعلني أعتقد أن التعصب الديني الذي يميز شخصية ابن سالم والكره الذي يكنه لمستعمري وطنه العاملان اللذان جعلاه يتخذ هذا الموقف. سأفعل كل ما في وسعي سيادة الوزير لأجمع كل صغيرة وكبيرة عن هذه القضية، وساحيطكم علما بذلك باديء ذي بدء دون أن أغفل أي شيء[1].

إمضاء
أ. دو لوسبس

المصدر: أرشيف ما وراء البحار أكس أن بروفنس ملف 9هـ (58).

الملحق رقم : 02

عن أسباب هجرة الجزائريين للأراضي العثمانية في المشرق العربي في الخمسينات من القرن الماضي

من عامل عمالة الجزائر

إلى

السيد الحاكم العام للجزائر

ستجدون رفقة هذه الرسالة جدولا يبين أسماء الأهالي الذين يقيمون في بلدية الجزائر، والذين يرغبون في السفر إلى سوريا.

وترجع أسباب تقديم طلبات جوازات السفر هذه إلى التأثير الذي يمارسه أحد المرابطين من بني اراثن وهو الشيخ المهدي، الذي يقيم ببيروت منذ مدة طويلة، دون أن يقطع صلته بالجزائر. وقد كاتب هذا الأخير الأهالي مرارا يعدهم بامتيازات كبيرة ويحرضهم على الهجرة إلى سوريا، يضاف إلى ذلك الدعاية النشيطة التي يقوم بها عبد الرحمن ابن سالم[1] لتحريض الأهالي على الهجرة، وهو رجل ذو تأثير كبير. وهذه هي الأسباب الحقيقية التي دفعت بكثير من العائلات إلى مغادرة البلاد، علما أن كثيرا منها قد عدلت عن رأيها وسحبت طلبات جوازات السفر التي قدمتها للادارة، وذلك لسببين اثنين، أولهما أن شعورها الديني يكون قد برد، وثانيهما أن ثقتها في الشيخ المهدي تكون قد تزعزعت[2].

المصدر: أرشيف ما وراء البحار أكس أن بروفنس ملف 9هـ (58).

الملحق: رقم 03

عن هجرة الجزائريين إلى تونس سنة 1888

برقيـــــــة

التاريخ : ختم البريد المركزي، الجزائر العاصمة 27 جوان 1888.

المرسل : نائب عامل عمالة قسنطينة.

المرسل إليه : الحاكم العام الفرنسي للجزائر – الجزائـر –

ردا على برقيتكم المؤرخة في 19 من الشهر الجاري المتعلقة بهجرة الأهالي من الهضاب العليا ومناطق سكيكدة إلى تونس، يبدو حسب المعلومات التي زودني بها السادة : نائب عامل عمالة قسنطينة في سطيف، والحاكم الإداري لعين مليلة، والعلمة، ومسكيانة وتبسة، أنه لم تحدث هناك أية هجرة إلى تونس في المناطق التي يشرفون على إدارتها. والظاهر أن الذي أوحى بهذه الهجرة هو الانتقال المحسوس لسكان هذه المناطق بحثا عن المراعي الخصبة لدوابهم، لما أصابهم من ضرر بسبب اجتياح الجراد لأراضيهم. كما أن التونسيين من جهتهم على الحدود الشرقية يجتاحون مناطق القالة، أخبرني الحاكم الإداري لأم البواقي يوم 24 جوان الجاري أن 13 شخصا بسبب الجفاف الذي أصابهم لمدة ثلاث سنوات متتالية، والفقر الذي يتخبطون فيه، يحاولون أن يغادروا البلاد ليهاجروا إلى سوريا. لقد أعطيت التعليمات اللازمة للسلطات المحلية وللجندرمة لمراقبة سكك الخطوط الحديدية للحيلولة دون ذلك. وفي وقت لاحق سأبعث لكم المعلومات التي طلبتها من نائب العمالة في سكيكدة[1].

المصدر: أرشيف ما وراء البحار أكس أن بروفنس ملف 09 هـ 100.

الملحق رقم: 04

عن أسباب هجرة الجزائريين إلى الأراضي العثمانية ما بين سنتي 1847-1864

الجزائر

عمالة الجزائر الجزائر 22 نوفمبر 1888

المكتب رقم 1

رقم : 24977

الشرطة العامة إلى السيد الحاكم العام للجزائر

حضرة السيد الحاكم العام ...

طلبتم مني في 19 سبتمبر الأخير أن أزودكم بمعلومات عن الأهالي الذين أشار إليهم السيد الحاكم الإداري لعزازقة في عدة رسائل له، بأنهم يراسلون بانتظام أهلهم وذويهم وأصدقائهم الذين لجأوا إلى سوريا. أن هذا الموظف الأخير، قد استقى معلومات هامة عن هذا الموضوع، أنقلها إليكم فيما يلي كما وصلتني :

«حوالي سنة 1847، كان يوجد من بين قبائل الشرفة مرابط كبير يدعى الشيخ المهدي، الذي مكنته تقواه من اكتساب سمعة طيبة بين سكان بلاد القبائل، وخاصة منها منطقة عزازقة وضواحيها، ولما استطع الفرنسيون أن يستولوا على مناطق واسعة في الجزائر أعلنوا عن نيتهم في غزو بلاد القبائل، فهلع المسلمون من كل مكان وهبوا إلى الشيخ المهدي يطلبون منه النصائح والارشادات لتحديد مواقفهم من غزو الكفار الذي سيداهمهم عما قريب».

«وهـؤلاء الـنـاس عـنـدمـا يصـلـون إلى دمشـق ويـسـتـقـرون بـهـا لا يقطعون صلتهم فجأة ببلدهم الأصلي، بل يراسلون أهلهم في الوطن بانتظام، ومما ترتب عن هذه المراسلة بين الطرفين، هجرة في كل سنة عدد من الأهالي خاصة أولئك الذين ارتكبوا مخالفات متعددة، خوفا من اقتصاص الإدارة الفرنسية منهم ففروا إلى سوريا وأفلتوا من عدالتنا».

«ورغم أن حركة الهجرة في أيامنا هذه تبدو ضعيفة، لكنها لم تخمد تماما، وهي مستمرة بفضل النداءات الملحة عليها التي تأتي من سوريا. وهناك بعض المهاجرين الذين عادوا إلى ديارهم، (وعددهم قليل جدا)، قد زودني بعضهم بمعلومات عن حالة الأهالي في دمشق أنقلها إليكم كما وردت لي :

«ليس هناك من بلد في العالم يضم في نقطة واحدة من أجناس مختلفة عرقا وأصلا وعقلية كسوريا، في دمشق وحدها نجد فيها أكثر من 92 جنسا !».

«وبسبب الاضطرابات السائدة في هذا البلد اضطر الجزائريون فور وصولهم للتكتل والتجمع لدرء الأخطار التي تتربص بهم. فتجمعوا في حي يدعى باب سويقة، أين نقلوا عاداتهم في العيش ومارسوا فرائض دينهم. كما أقاموا هناك مسجدًا خاصا بهم عين الأمير عبد القادر إمامًا له طوال حياته».

«وهذا الحي القبائلي اشتهر شهرة كبير في وقت وجيز بين الأحياء الأخرى الدمشقية، حتى أصبح في وقت الاضطرابات يفرض ارادته عليها بكل سهولة».

«وقد اتخذ اللاجئون من الصناعة كمصدر أساسي لمعيشتهم، فما لبث حي باب سويقة أن تحول إلى – مركب صغير للصناعات النسيجية – أين

تنسج كل أنواع الكتان، وبالأخص الأقمشة القطنية، كما تعاطى هؤلاء صناعة الحلويات والخبز في بعض مخابر دمشق. أما الذين لا يتقنون أية حرفة فقد دخلوا في صفوف العساكر التركية كخيالة أو مشاة، وهم يشكلون فرقا خاصة، ففي دمشق وحدها نجد فيها فرقة عسكرية من الخيالة تتكون من 70 فارسا جزائريا».

«ليس المهاجرين الجزائريين كلهم من الحضر الذين يقيمون في المدن السورية، ولكن أكثر من نصفهم أصلا من البادية يتعاطون مهنة الزراعة ويقيمون في البوادي المجاورة لدمشق، وقد اختار هؤلاء كبقعة لاستقرارهم ولممارسة حرفتهم الزراعية سهلا فسيحا يوجد على بعد يومين مشيا على الأقدام من دمشق، يعرف باسم وادي سيسبو. ونظرا لخصوبة هذا السهل تكاثف فيه السكان بصورة ملحوظة وتعددت فيه القرى التي ترى من بعيد وكأنها أحياء كبرى لمدينة واحدة، أي أنها تشكل مدينة واحدة كبيرة».

«لكننا نجد أكبر تجمع للمهاجرين الجزائريين في مدينة صفد، التي يوجد بها المسمى أحمد بن سالم، الذي يشير إليه التقرير السابق. وكما هو الشأن بالنسبة للمدينة فقد تجمع الجزائريون في بقعة واحدة في الريف السوري» حيث أنشأوا قرية خاصة بهم عرفت باسم ديشوم – أوديشان – ويبدو أنهم كانوا يعيشون هناك عيشة محترمة، ويقال هنا : أن الأرض ملكا لمن يخدمها، وتعوض المزارع على ما يبذله من جهد ومتاعب في خدمتها.؟ أما الجبايات فزيادة على أنها لا تجمع بانتظام، فالجباية المفروضة على الفلاحين معقولة جدا، جباية عاشوراء مثلا لا تتعدى 12 فرنكا تفرض على المحراث الذي يجره ثوران، وخلافا لذلك فالزكاة المقررة على الخروف الواحد أو العنزة الواحدة تقدر بـ 60 سنتيما، في الوقت الذي لا يفرض فيه على الجمل الواحد سوى 1.20 فرنك».

إن رسائل المهاجرين الجزائريين في سوريا تصل أهلهم في الجزائر إما عن طريق البريد أو عن طريق الحجاج، يتضح من خلال المعلومات التي قدمها السيد الحاكم الإداري لعزازقة أن أهل بلاد القبائل يهاجرون إلى سوريا، ليس لأسباب سياسية، انما لما يجدونه في هذا البلد من امتيازات مادية، وقد طلبت من السيد نائب عامل عمالة الجزائر أن يشدد الحراسة على الرسائل المتبادلة بين المهاجرين وأهلهم، التي أشرنا إليها سابقا(1).

وتفضلوا سيادة الحاكم العام بقبول فائق الاحترام ...

عن عامل عمالة الجزائـــر
الكاتب العـــام

المصدر: أرشيف ما وراء البحار أكس أن بروفنس ملف 9هـ .98(58)